

أضواء البيان

@ 20 @ وإيمانهم وضراعتهم إلى [] { فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْزَلْنَا بِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَزَلَ فِي ذِي قُرْبَىٰ فَتَوَلَّوْا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْبِلُوا لِحُدُودِكُمْ وَلَا يَأْتِ الْبِرَّ الْقِيلَاسُ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْكُمْ عَاشِقِينَ } . .
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّا سَنُعَذِّبُكَ بِمَا كُنتَ تَكْفُرُ وَلَنَنزِّلَنَّ عَلَيْكَ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخِثْيَاءُ وَأَعْيُنُ النَّاسِ عَلَىٰ السَّمَاءِ مُنْفِتِينَ وَمَا جَعَلَهُ إِلَّا لِيُحْزِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ حَزِينًا
 الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } . .
 فما جعل [] الإمداد بالملائكة إلا لتطمئن به قلوبهم ، وما غشاهم النعاس إلا أمانة منه ،
 وتم كل ذلك بما ربط على قلوبهم ، فقاوموا بقلبتهم قوى الشر على كثرتهم ، وتم النصر من
 عند [] بمدد من [] ، كما ربط على قلوب أهل الكهف : { وَرَبَّنَا عَلِّمْنَا لِقَوْلِكَ الْوَعْدَ الَّذِي
 إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّذْعُوكَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا هِيَ لِقَدَرٍ قُلْنَا نَا إِذْ أَشْطَطْنَا } . .

هذه آثار الطمأنينة والسكينة والربط على القلوب المدلول عليه بمفهوم المخالفة من قوله
 تعالى : { فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
 الْمُؤْمِنِينَ } ، وقد جمع [] تعالى الأمرين المنطوق والمفهوم في قوله تعالى : { إِذْ
 يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْزَلِي مَعَكُمْ فَتَثَبُّتُوا السَّادِينَ
 ءَامَنُوا سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } فنص على الطمأنينة
 بالثبوت في قوله : { فَتَثَبُّتُوا السَّادِينَ ءَامَنُوا } ، ونص على الرعب في قوله :
 { سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } فكانت الطمأنينة تثبيتاً
 للمؤمنين ، والرعب زلزلة للكافرين . .

وقد جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام . لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه
 إلى بني قريظة ، قال : (إني متقدمكم لأزلزل بهم الأقدام) ، ومما يدل على أسباب هذه
 الطمأنينة في هذه المواقف قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 لَقَيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
 وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } . .
 فذكر [] تعالى أربعة أسباب للطمأنينة : .

الأولى : الثبات ، وقد دل عليها قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُذِيَانٌ مَّرْصُومُونَ } .